كتاب النهي عن الغضب والأمر بكظم الغيظ والحلم والعفو والرفق

وفيه خمسة أبواب :

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

في النهي عن الغضب

روى البخاري عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رجلا قال للنبي ﷺ أوصني . قال : «**لا تغضب**» فردد مرارا قال : «**لا تغضب**» [1].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**» . رواه البخاري ومسلم [2].

وقال ﷺ : «**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ**

---

(1) من حديث أبى هريرة : أخرجه أحمد (2/ 362، رقم 8729) ، والبخارى (5/ 2267، رقم 5765) ، والترمذى (4/ 371، رقم 2020) وقال : حسن صحيح غريب .

ومن حديث جارية بن قدامة : أخرجه أحمد (3/ 484، رقم 16006) ، وابن قانع (157/1) ، والطبرانى (2/ 261، رقم 2093) ، والحاكم (3/ 713، رقم 6578) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (5/ 216، رقم 25380) ، وابن حبان (12/ 501، رقم 5689) ، والطبرانى فى الأوسط (7/ 277، رقم 7491) ، قال الهيثمى (69/8) : رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط وفى الكبير ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

ومن حديث ابن عمر أخرجه أيضًا : أبو يعلى (10/ 51، رقم 5685) ، قال الهيثمى (69/8) : فيه ابن أبى الزناد وقد ضعفه غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح . وابن حبان (1/ 531، رقم 296) .

ومن حديث ابن عمرو : أخرجه أيضًا : أحمد (2/ 175، رقم 6635) ، قال الهيثمى (69/8) : فيه ابن لهيعة وهو لين الحديث وبقية رجاله ثقات . والبيهقى فى شعب الإيمان (6/ 308، رقم 8281) .

ومن حديث سفيان : أخرجه الطبرانى (7/ 69، رقم 6399) .

(2) من حديث أبى هريرة : أخرجه أحمد (2/ 236، رقم 7218) ، والبخارى (5/ 2267، رقم 5763) ، ومسلم (4/ 2014، رقم 2609) .

ومن حديث ابن مسعود : أخرجه أبو داود (4/ 248، رقم 4779) .

النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» [1].

وقال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه وإلا فليضطجع**» [2].

وقال ﷺ: «**من كف غضبه ستر الله عورته**» [3].

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾[4] السيد الذي لا يغلبه الغضب.

وقال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر.

(1) أخرجه أحمد (4/ 226، رقم 18014)، وأبو داود (4/ 249، رقم 4784)، والطبرانى (17/ 167، رقم 443)، وأخرجه أيضًا: ابن عساكر (289/40)

(2) أخرجه أحمد (5/ 152، رقم 21386)، وأبو داود (4/ 249، رقم 4782) وابن حبان (12/ 501، رقم 5688). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى كما فى إتحاف الخيرة المهرة (7/ 406، رقم 1758).

(3) أخرجه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (ص 47، رقم 36).

(4) سورة آل عمران، الآية: 39.

obeikandl.com

الباب الثاني

في كظم الغيظ

قال رسول الله ﷺ: «**من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء**» [1].

وقال ﷺ: «**من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته**» [2].

وقال ﷺ: «**أشدكم من غلب نفسه**[3] عند الغضب وأحلمكم[4] من عفا بعد القدرة» [5].

وقال عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

وقال رجل لعمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: والله ما تقضي بالعدل، ولا تعطي الجزل. فغضب عمر حتى عرف في وجهه الغضب، فقال له رجل: يا أمير

---

(1) أخرجه أبو داود (4/248 رقم 4777)، والترمذى (4/ 656، رقم 2493)، وابن ماجه (2/ 1400، رقم 4186)، والطبرانى فى الكبير (20/ 189، رقم 417)، وفى الصغير (2/ 250، رقم 1112)، والبيهقى (8/ 161، رقم 16422). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (3/ 66، رقم 1497).

(2) أخرجه أبو يعلى (7/ 302، رقم 4338) قال الهيثمى (298/10): فيه الربيع بن سليمان الأزدى وهو ضعيف. والضياء (6/ 81، رقم 2066). وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (6/ 315، رقم 8311)، والرافعى (370/2).

(3) غلب نفسه: ملكها أو قهرها.

(4) أحلمكم: أثبتكم عقلًا، وأرجحكم أناة ونبلًا.

(5) أخرجه أيضًا: الديلمى (1/ 222، رقم 850). قال المناوى (522/1) قال الحافظ العراقى فى المغنى: سنده ضعيف.

المؤمنين، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [1]. وهذا من الجاهلين. فقال: عمر صدقت فكأنما كانت نارا فأطفئت.

❊ ❊ ❊

(1) سورة الأعراف، الآية: 199.

obeikandl.com

الباب الثالث

في الحلم

قال رسول الله ﷺ : «**إنما العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم**» [1]. و«**اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم ، لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم**» [2].

وكان من دعاء رسول الله ﷺ : «**اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية**» [3].

وقال ﷺ : «إن المسلم ليدرك بالحلم درجة القائم الصائم وإنه ليكتب جبارا وما يملك إلا أهل بيته» [4].

وشتم رجل رأسه واستحى .

وجاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له : فقال له : من كسر رجل هذه؟ قال : أنا فعلته عمدا لأغيظك فتضربني فتأثم . فقال : لأغيظن من حرضك على غيظي ، فأعتقه .

ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في الظلمة فمر برجل نائم فعثر به ، فرفع رأسه وقال : أمجنون أنت؟! فقال عمر : لا . فهم به الحارث ، فقال عمر :

---

(1) أخرجه الخطيب (127/9) .

(2) أخرجه الديلمى (1/ 79، رقم 238) . وأخرجه أيضًا : ابن عدى (335/4 ترجمة 1165 عباد بن كثير الثقفى) .

(3) أخرجه الرافعى (324/2) .

(4) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (289/8) .

مه ، إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت له : لا .

وسب رجل علي بن الحسين ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ فثارت إليه العبيد فقال : مهلا ، ثم أقبل على الرجل فقال : ما ستر عنك من أمرنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسل .

وقال رجل لوهب بن منبه : إن فلانا شتمك . فقال : وما وجد بريدا غيرك؟

وقال لقمان : ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاث ، لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا أخوك إلا عند الحاجة إليه .

❊ ❊ ❊

الباب الرابع

في العفو

قال رسول الله ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[1].

عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك**»[2].

وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا، فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال: جلست وإنها لمعي. فجعلوا يدعون عليه: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها. فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حمله جراءة على الذنوب فاجعله آخر ذنوبه.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أحمد (2/ 235، رقم 7205)، ومسلم (4/ 2001، رقم 2588)، والترمذى (4/376 رقم 2029) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (8/ 40، رقم 3248). وأخرجه أيضًا: الدارمى (1/ 486، رقم 1676) وأبو يعلى (11/ 344، رقم 6458)، والبيهقى فى السنن الكبرى (8/ 161، رقم 16423)، وفى شعب الإيمان (6/ 258، رقم 8071).

(2) أخرجه أحمد (4/158 رقم 17488)، وابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق (ص 22، رقم 19)، والطبرانى (17/269 رقم 739)، والحاكم (4/ 178، رقم 7285). وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (6/ 222، رقم 7959).

الباب الخامس

في الرفق

في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[1].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»[2].

وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[3]. رواهما مسلم.

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخارى (5/ 2349، رقم 6032)، ومسلم (4/ 1706، رقم 2165)، والترمذى (5/ 60، رقم 2701) وقال: حسن صحيح. وابن حبان (14/ 352، رقم 6441)، والبيهقى (9/ 203، رقم 18503).

(2) أخرجه الطيالسى (ص 92، رقم 666)، وأحمد (4/ 362، رقم 19229)، ومسلم (4/ 2003، رقم 2592)، وأبو داود (4/ 255، رقم 4809)، وابن ماجه (2/ 1216، رقم 3687)، وابن حبان (2/ 308، رقم 548). وأخرجه أيضًا: البخارى فى الأدب المفرد (1/ 164، رقم 463)، وهناد (2/ 653، رقم 1431)، والطبرانى (2/ 346، رقم 2449) والبيهقى (10/ 193، رقم 20584).

(3) أخرجه مسلم (4/ 2004، رقم 2594). وأخرجه أيضًا: الطيالسى (ص 211، رقم 1516)

obeikandl.com

باب في ذم الحقد والحسد

قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ (1).

الحسد: أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه وهو حرام، والغبطة: أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز؛ قال الكلبي: ولا يتمنَّ الرجل مال أخيه، ولا امرأته، ولا خادمه، ولكن ليقل: اللهم ارزقني مثله، وهو كذلك في التوراة، وفي القرآن قوله تعالى ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ (2).

وروى مسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرارت ـ بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»** (3).

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«دب إليكم داء الأمم قبلكم؛ الحسد والبغضاء»** (4).

وقال ﷺ: **«إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»** (5).

---

(1) سورة النساء، الآية: 54.

(2) سورة النساء، الآية: 32.

(3) أخرجه مسلم (4/ 1986، رقم 2564)، وأخرجه أيضًا: أحمد (2/ 277، رقم 7713)، والبيهقي (6/ 92، رقم 11276).

(4) أخرجه الطيالسي (ص 27، رقم 193)، وأحمد (1/ 164، رقم 1412)، وعبد بن حميد (ص 63، رقم 97)، والترمذي (4/ 664، رقم 2510)، والشاشي (1/ 114، رقم 54)، وابن قانع (223/1)، والبيهقي (10/ 232، رقم 20854)، والضياء (3/ 81، رقم 889) وقال: إسناده منقطع.

(5) أخرجه أبو داود (4/ 276، رقم 4903)، وعبد بن حميد (ص 418، رقم 1430)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 266، رقم 6608).

وروي عنه ﷺ أنه قال: «**يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة**». فاطلع رجل فسئل عن عمله فقال: إني لا أجد لأحد من المسلمين في قلبي غشا ولا حسدا على خير أعطاه الله إياه [1].

وقال ﷺ: «**لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمهُ الله ويبتليك**» [2].

وقال ﷺ: «**أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون**» [3].

وقال ﷺ: «**استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود**» [4].

وقال ﷺ: «**إن لنعم الله أعداء**» فقيل: من ذلك؟ قال: «**الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**».

وقال ﷺ: «**ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة**». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقون بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد**»[5].

---

(1) أخرجه أحمد (13034)، والنسائي في الكبرى 6/ 216، والبيهقي في الشعب (6330).

(2) أخرجه الترمذى (4/ 662، رقم 2506) وقال: حسن غريب. والطبرانى (22/ 53، رقم 127). وأخرجه أيضًا: القضاعى (2/ 78، رقم 919)، والبيهقى فى شعب الإيمان (5/ 315، رقم 6777)، والخطيب (95/9).

(3) أخرجه الطبراني (3/ 293، رقم 3442)، قال الهيثمي (128/1): فيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ولم يسمع من أبيه.

(4) أخرجه العقيلي (2/ 108، ترجمة 580)، والطبرانى (20/ 94، رقم 183)، وأبو نعيم فى الحلية (5/ 215)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 277، رقم 6655)، والطبرانى فى الأوسط (3/ 55، رقم 2455)، وفى الصغير (2/ 292، رقم 1186)، والديلمي (1/ 85، رقم 269). والحديث فيه مقال: فقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات (2/ 504، رقم 1068).

(5) أخرجه الديلمي (2/ 329، رقم 3491).

ويروى أن الله تعالى قال: الحاسد عدو نعمتي، ساخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي[1].

وقال ابن سيرين ـ رَحِمَهُ الله ـ : ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا وهو يصير إلى الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا وهو يصير إلى النار.

وقال إبليس اللعين لنوح عليه السلام: إياك والحسد؛ فإنه صيرني إلى هذا الحال.

وقال بعض السلف: إن أول خطيئة كانت هي الحسد؛ حسد إبليس آدم فأبى أن يسجد له، فحمله الحسد على المعصية.

وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده.

وقال الحسن: يا ابن آدم، لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار؟

وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا.

حكاية:

قال الغزالي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **الإحياء**: قيل: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء سيكفيك مساويه، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (5/ 274، رقم 6637).

يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر. فقال الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعو به إليك فإذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر. قال له: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء سيكفيك مساويه. فقال له الملك: ادن مني فدنا منه فوضع يده على فمه مخافة أن يشم الملك ريح الثوم فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانا إلا وقد صدق.

قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: خط لي الملك بصلة. فقال: هبه لي. فقال: هو لك. فأخذه ومضى إلى العامل فقال: إن في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى أراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا، وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال: مثل قوله، فتعجب الملك وقال: ما فعلت بالكتاب؟ قال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته قال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال: ما فعلت. قال: فلم وضعت يدك على أنفك؟ قال: كان أطعمني طعاما فيه ثوم كرهت أن تشمه. قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه.

❊ ❊ ❊

قصة آدم عليه السلام حين حسده إبليس اللعين

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾. قال: مجاهد خلقنا أباكم آدم ثم صورناكم في ظهره.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ الآية. في هذا السجود قولان؛ أصحهما أنه كان لآدم على الحقيقة، وتضمن معنى الطاعة لله ـ عز وجل ـ بامتثال أمره، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له، ولم يكن فيه وضع الوجه على الأرض، إنما كان انحناء، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك بالسلام، وقيل: معنى: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ أي: إلى آدم فكان آدم قبلة والسجود لله، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة؛ قال الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ أي: يا إبليس ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ولا صلة ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ قال: إبليس مجيبا له: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾. والنار خير وأنور من الطين.

قال محمد بن جرير: ظن الخبيث أن النار خير من الطين، ولم يعلم أن الفضل لمن جعل الله له الفضل، وقد فضل الله الطين على النار.

وقالت الحكماء: للطين فضل على النار من وجوه:

منها: أن من جوهر الطين الرزانة والوقار والحلم والصبر، وهو الداعي لآدم بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة، والتواضع والتضرع فأورثته الاجتباء والتوبة والهداية، ومن جوهر النار الخفة والطيش والحدة والارتفاع، وهي الداعية لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى الاستكبار والإصرار، فأورثته اللعنة والشقاوة؛ ولأن الطين سبب جمع الأشياء والنار سبب تفرقها، ولأن الطين سبب الحياة فإن حياة النبات والأشجار به والنار سبب للهلاك ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿فَاهْبِطْ

﴿مِنْهَا﴾ أي : من الجنة ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ بمخالفة الأمر ولا ينبغي أن يسكن الجنة متكبر مخالف لأمر الله ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ من الأذلاء ﴿قَالَ﴾ إبليس عند ذلك ﴿أَنظِرْنِيٓ﴾ أمهلني فلا تمتني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم وهو النفخة الأخيرة عند قيام الساعة أراد الخبيث أن لا يذوق الموت ﴿قَالَ﴾ الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [1]. وبين مدة النظرة في موضع آخر بقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [2]. وهو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ . أي : لأجل أنك أغويتني ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي : لأجلسن لبني آدم على طريقك القويم ، وهو الإسلام ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ .

قال ابن عباس : ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ . أي : من قبل الآخرة فاشككهم فيها ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ : أرغبهم في دنياهم ، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ : أشبه عليهم أمر دينهم ، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ : أشهي لهم المعاصي ، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [3] أي : مؤمنين [4].

قيل : إنه قال هذا ظنا فأصاب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [5] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى لإبليس : ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ . أي : لعينا منفيا ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من بني آدم ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [6].

(1) سورة الأعراف ، الآيتان : 11 - 15.

(2) سورة الحجر ، الآية : 38.

(3) سورة الأعراف ، الآيتان : 16، 17.

(4) تفسير البغوي 3/ 218.

(5) سورة سبأ ، الآية : 20.

(6) تفسير البغوي 3/ 219.

قال ابن عباس: هي السنبلة، وقيل: شجرة العنب، وقيل: التين[1].

قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾. أي: ليظهر لهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما، ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾. أي: كراهة أن تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ أي: من الباقين الذين لا يموتون ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[2] قيل: لما أراد إبليس أن يدخل الجنة ليسوس لآدم وحواء منعته الخزنة، فأتى الحية وكانت صديقة له وكانت من أحسن الدواب لها أربع قوائم كقوائم البعير، وكانت من خزان الجنة فسألها إبليس أن تدخله في فمها، فأدخلته، ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة، فلما دخلها وقف بين يدي آدم وحواء وهما لا يعلمان أنه إبليس، فبكى وناح نياحة أحزنتهما وهو أول من ناح فقالا: ما يبكيك؟ فقال: أبكي عليكما؛ تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة، فوقع ذلك في أنفسهما واغتما ومضى إبليس، ثم أتاهما بعد ذلك وغرهما بأكل الشجرة، فأبيا أن يقبلا منه فقاسمهما بالله إنه لهما من الناصحين، فاغترا وما ظنا أن أحدا يحلف بالله كاذبا، فبادرت حواء إلى أكل الشجرة، ثم ناولت آدم حتى أكلها.

قال ابن عباس وقتادة: قال الله عز وجل لآدم: ألم يكن فيما أبحت لك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال: بلى يا رب، وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا. قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض، ثم لا تنال العيش إلا كدا، فأهبطا من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا، فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع، ثم سقى حتى إذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذاره ثم طحنه ثم عجنه

(1) تفسير البغوي 1/ 81.

(2) سورة الأعراف، الآيات: 18 - 21.

ثم خبزه ثم أكله .

قال ابن عباس : لما أكل آدم من الشجرة قال الله عز وجل : يا آدم ، ما حملك على ما صنعت؟ قال : يا رب زينته لي حواء! قال : فإني أعقبتها ألا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها ، وأدميتها في الشهر مرتين فرنت[1] حواء عند ذلك ، فقيل : عليك الرنة وعلى بناتك [2].

قال الله تعالى : ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ . أي : خدعهما . وقيل : حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية ، ولا يكون التدلي إلا من علو إلى سفل ، والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ : ظهرت لهما عوراتهما وتهافت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه .

قال وهب : كان لباسهما من النور ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهو ورق التين حتى صار كهيئة القميص ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ أي : بالمعصية ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ * قَالَ﴾ الله تعالى ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ أي انزلوا إلى الأرض يعني آدم وحواء وإبليس والحية فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند على جبل يقال له نود وحواء بجدة وإبليس بالأبلة والحية بأصفهان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي : إلى انقضاء آجالكم ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿فِيهَا﴾ أي : في الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[3] أي : من الأرض تخرجون للبعث .

---

(1) أي : صوتت .

(2) أخرجه عن ابن عباس : الحاكم في المستدرك 381/2 وذكره الواحدي في الوسيط بسنده عن ابن عباس : 85/1 ـ 86، وعزاه السيوطي في الدر المنثور : 132/1 لابن منيع وابن أبي الدنيا في كتاب البكاء وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن ابن عباس .

(3) سورة الأعراف ، الآيات : 22 ـ 25.

قصة هابيل وقابيل

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهما هابيل وقابيل ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وكان سبب قربانهما أن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدت أربعين ولدا في عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمه إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله في نسل آدم.

قال ابن عباس: لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفا، وكان آدم يزوج غلام هذا البطن جارية بطن آخر، فكان الرجل منهم يتزوج أية أخواته شاء إلا توأمته؛ لأنه لم يكن يومئذ نساء إلا أخواتهم، ثم إن الله تعالى أمر آدم أن ينكح قابيل لبودي أخت هابيل، وينكح هابيل إقليما أخت قابيل، وكانت أحسن من أخت هابيل، فذكر ذلك آدم لولديه فرضي هابيل وسخط قابيل وقال: هي أختي وأنا أحق بها! فقال له أبوه: إنها لا تحل لك. فأبى أن يقبل ذلك وقال: إن الله لم يأمره بهذا وإنما هو من رأيه. فقال لهما آدم: قربا قربانا فأيكما تقبل قربانه فهو أحق بها، وكانت القرابين إذا قبلت نزلت نار من السماء بيضاء فأكلتها، وإذا لم تكن مقبولة لم تنزل نار وأكلته الطيور والسباع، وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام من أردأ زرعه وأضمر في نفسه ما أبالي تقبل مني أم لا، لا يتزوج أختي أبدا، وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أحسن كبش في غنمه فقربه وأضمر في نفسه رضا الله ـ عز وجل ـ فوضعا قربانهما على الجبل، ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء وأكلت قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾. وكان قابيل يضمر الحسد في نفسه إلى أن ذهب آدم إلى مكة لزيارة البيت، فأتى قابيل هابيل و﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾. قال: ولم؟ قال: لأن الله قبل قربانك ورد قرباني،

وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الذميمة فـ﴿قَالَ﴾ هابيل: ما ذنبي؟ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ * لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾. قال عبد الله بن عمر: وايم الله إن المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إلى أخيه يده، وهذا في الشرع جائز أن من أريد قتله أن ينقاد ويستسلم طلبا للأجر، كما فعل عثمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ترجع ﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ أي: بإثم قتلي إلى إثمك، أي: إثم معصيتك الذي عملت من قبل ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَطَوَّعَتْ﴾. أي: زينت ﴿لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فلما قتله لم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بني آدم وقصده السباع فحمله في جراب على ظهره أربعين يوما وقيل سنة حتى أروح فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجليه حتى مكن له ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر إليه فذلك قوله عز وجل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ فلما رأى قابيل ذلك ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾ أي جيفته ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[1] على حمله لا على قتله ثم إن قابيل أخذ بيد أخته إقليما وهرب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتاه إبليس فقال إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب لك نارا تكن لك ولعقبك فبنى بيت النار وهو أول من عبد النار قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من اليراع والمزامير والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان أيام نوح وبقي نسل شيث.

(1) سورة المائدة، الآيات: 27 ـ 31.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**»[1].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أحمد (1/ 383، رقم 3630)، وابن أبى شيبة (5/ 435، رقم 27759)، والبخاري (3/ 1213، رقم 3157)، ومسلم (3/ 1303، رقم 1677)، والترمذي (5/ 42، رقم 2673) وقال: حسن صحيح. والنسائي (7/ 81، رقم 3985)، وابن ماجه (2/ 873، رقم 2616)، وابن أبى عاصم فى الديات (5/1). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (9/ 110، رقم 5179)، وابن حبان (13/ 321، رقم 5983)، والبيهقي (8/ 15، رقم 15602).

obeikandl.com

باب ذم الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [1]. قيل: إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوزة هتماء عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلتهم. قال عيسى: بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين؟ كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ولا يكونون منك على حذر؟

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**» [2].

وقال ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله**» رواهما البخاري ومسلم [3].

قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول لا**

---

(1) سورة الحديد، الآية: 20.

(2) أخرجه ابن المبارك (1/ 173، رقم 502)، وأحمد (4/ 137، رقم 17273)، والبخارى (3/ 1152، رقم 2988)، ومسلم (4/ 2273، رقم 2961) والترمذى (4/ 640، رقم 2462) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1324، رقم 3997).

(3) أخرجه ابن المبارك (ص 224، رقم 636)، وأحمد (3/ 110، رقم 12101)، والبخارى (5/ 2388، رقم 6149) ومسلم (4/ 2273، رقم 2960)، والترمذى (4/ 589، رقم 2379) وقال: حسن صحيح. والنسائى (4/ 53، رقم 1937). وأخرجه أيضًا: الحميدى (2/ 500، رقم 1186)، وابن حبان (7/ 374، رقم 3107).

والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» [1].

وقال ﷺ : «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم ترجع**» رواهما مسلم [2].

وقال ﷺ : «**لو كان لي مثل أحد ذهبا لسرني أن لا يمر علي ثلاث ليال وليس عندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين**» رواه البخاري [3].

وقال ﷺ : «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» . لفظ مسلم [4].

وقال ﷺ : «**تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أعطي منها رضي وإن لم يعط لم يرض**» رواه البخاري [5].

---

(1) أخرجه أحمد (3/ 203، رقم 13134) ، وعبد بن حميد (ص 391، رقم 1313) ، ومسلم (4/2162 رقم 2807) وابن ماجه (2/ 1445، رقم 4321) ، وأبو يعلى (6/ 231، رقم 3521) .

(2) مسلم (4/ 2193، رقم 2858) ، وأخرجه ابن المبارك (1/ 170، رقم 496) ، وهناد (1/ 295، رقم 517) ، وأحمد (4/ 229، رقم 18043) ، وابن ماجه (2/ 1376، رقم 4108) . وأخرجه أيضًا : الحميدى (2/ 378، رقم 855) ، وابن أبى شيبة (7/ 75، رقم 34306) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (2/ 124، رقم 835) ، وابن حبان (14/ 29، رقم 6159) ، والطبرانى (20/ 301، رقم 713) والقضاعى (2/ 292، رقم 1387) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 324، رقم 10459) .

(3) أخرجه البخارى (5/ 2368، رقم 6080) .

(4) مسلم (4/ 2275، رقم 2963) ، وأخرجه أحمد (2/ 254، رقم 7442) ، والترمذى (4/ 665، رقم 2513) ، وقال : صحيح ، وابن ماجه (2/ 1387، رقم 4142) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى فى الأوسط (3/ 22، رقم 2343) .

(5) أخرجه البخاري (3/ 1057، رقم 2730) ، وابن ماجه (2/ 1385، رقم 4135) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (8/ 12، رقم 3218) ، والبيهقى (9/ 159، رقم 18279) .

وقال ﷺ : «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» . رواه مسلم [1].

وعن ابن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» [2].

وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . رواه البخاري .

وعن سهل بن سعد الساعدي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس؟ فقال : «**ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**» رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة [3].

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح**

---

(1) أخرجه مسلم (4/ 2272، رقم 2956) ، وأحمد (2/ 323، رقم 8272) ، والترمذي (4/ 562، رقم 2324) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 1378، رقم 4113) ، وابن حبان (2/ 462، رقم 687) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (11/ 404، رقم 6526) ، والطبراني في الأوسط (3/ 157، رقم 2782) ، وأبو نعيم (350/6) ، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 148، رقم 9797) ، والديلمي (2/ 229، رقم 3103) .

(2) أخرجه البخارى (5/ 2358، رقم 6053) . وأخرجه أيضًا : ابن حبان (2/ 471، رقم 698) ، والبيهقى (3/ 369، رقم 6304) .

(3) أخرجه ابن ماجه (2/ 1373، رقم 4102) . قال البوصيرى (210/4) : هذا إسناد ضعيف . والطبرانى (6/ 193، رقم 5972) ، والحاكم (4/ 348، رقم 7873) وقال : صحيح الإسناد . والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 344، رقم 10522) وقال : خالد بن عمرو هذا ضعيف . وأخرجه أيضًا : القضاعى (1/ 373، رقم 643) ، وابن الجوزى فى العلل المتناهية (2/ 808، رقم 1352) ، وأورده ابن أبى حاتم فى العلل (2/ 107، رقم 1815) ، وقال : قال أبى : حديث باطل يعنى بهذا الإسناد . قال المنذرى (4/ 74) : رواه ابن ماجه ، وقد حسن بعض مشايخنا إسناده ، وفيه بُعد ؛ لأنه من رواية خالد بن عمرو القرشى الأموى السعيدى ، وخالد هذا قد ترك ، واتهم ولم أر من وثقه ؛ لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار .

بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» صححه الترمذي [1].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما» حسنه الترمذي [2].

وقال ﷺ: «**ألا إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**» .رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح [3].

وقال ﷺ: «**يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت؟!**»[4] رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح [5].

وعن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: نام رسول الله ﷺ على حصير

---

(1) أخرجه الترمذي (4/ 560، رقم 2320)، والطبراني (6/ 157، رقم 5840)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 325، رقم 10465).

(2) أخرجه الترمذى (561/4 رقم 2322) وقال: حسن غريب. وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (1377/2 رقم 4112).

(3) أخرجه أحمد (4/ 160، رقم 17506)، والترمذى (4/ 569، رقم 2336) وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم (4/ 354، رقم 7896) وقال: صحيح الإسناد. والطبرانى (19/ 179، رقم 404). وأخرجه أيضًا: أبو نعيم فى المعرفة (5/ 2373، رقم 5826).

(4) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (1/ 170، رقم 497)، والطيالسى (ص 156، رقم 1148)، وأحمد (4/ 24، رقم 16349)، وعبد بن حميد (ص 183، رقم 513)، ومسلم (4/ 2273، رقم 2958)، والترمذى (4/ 572، رقم 2342) وقال: حسن صحيح. والنسائى (6/ 238، رقم 3613)، وابن حبان (8/ 120، رقم 3327). وأخرجه أيضًا: الحاكم(2/ 582، رقم 3969) وقال: صحيح الإسناد وليس من شرط الشيخين.

(5) أخرجه أحمد (3/ 456، رقم 15822)، والترمذي (588/4 رقم 2376) وقال: حسن صحيح. والدارمي (394/2 رقم 2730)، والطبراني (19/ 96، رقم 189).

فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءة فقال: «**ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح [1].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى**» [2].

وعن جابر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ مر بجدي أسك[3] ميت فقال: «**أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء. فقال: «**والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**» [4].

وقال ﷺ: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه**» [5].

وقال ﷺ: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**» [6].

وقال ﷺ: «**إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها**» [7].

---

(1) أخرجه أحمد (1/ 391، رقم 3709)، وهناد (2/ 382، رقم 744)، والترمذي (4/ 588، رقم 2377) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1376، رقم 4109)، وابن سعد (1/467)، والطبراني (10/ 162، رقم 10327)، والحاكم (4/ 345، رقم 7859)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 311، رقم 10415).

(2) أخرجه ابن حبان (412).

(3) أسكُّ: هو ذاهب الأذن سواء من أصل الخلقة أو مقطوعها.

(4) أخرجه أحمد (3/ 365، رقم 14972)، ومسلم (4/ 2272، رقم 2957)، وأبو داود (1/ 48، رقم 186). وأخرجه أيضًا: ابن المبارك (1/ 349، رقم 983)، والبخارى فى الأدب المفرد (1/ 334، رقم 962)، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 326، رقم 10467)، والبيهقى (1/ 139، رقم 645).

(5) أخرجه أحمد (2/ 168، رقم 6572)، ومسلم (2/ 730، رقم 1054)، والترمذى (4/ 575، رقم 2348)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1386، رقم 4138).

(6) البيهقى فى شعب الإيمان عن الحسن مرسلًا.

(7) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (10500).

وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله والإنس والجن عن يمينه ويساره، قال: فمر بعابد من عباد بني إسرائيل، فقال: والله يا ابن داود، لقد آتاك الله ملكا عظيما. قال: فسمعه سليمان عليه السلام فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود، ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى [1].

وقال ﷺ: «**الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمعها من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له**» [2].

وقال ﷺ: «**من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا**» [3].

وقال أبو هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعا بما فيها؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي حتى أتى بي واديا من أودية المدينة، فإذا مزبلة فيها رءوس ناس وعذرات وخرق وعظام، ثم قال: «**يا أبا هريرة، وهذه العذرات ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم، فأصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك**». قال: فما

(1) تفسير حقي 4/ 451.

(2) أخرجه أحمد (6/ 71، رقم 24464)، قال الهيثمى (10/288): رجاله رجال الصحيح غير دويد، وهو ثقة. والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 375، رقم 10638). وأخرجه أيضًا: الديلمى (2/ 230، رقم 3109).

(3) أخرجه الديلمى (3/ 580، رقم 5818).

برحنا حتى اشتد بكاؤنا [1].

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال في بعض خطبه : «**المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليتزود العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن حياته لموته ، ومن شبابه لهرمه ، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار**» [2].

وروي أن جبريل عليه السلام قال لنوح : يا أطول الأنبياء عمرا ، كيف وجدت الدنيا؟ قال : كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر [3].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**نزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، إن الله تعالى يقول لك : عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به**» [4].

وقال عمر بن عبد العزيز : الدنيا عدوة أولياء الله تعالى ، وعدوة أعداء الله ؛ أما أولياء الله فغمتهم ، وأما أعداء الله فغرتهم [5].

وقال لقمان لابنه : يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع

(1) ذكره عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد في العاقبة في ذكر الموت ، ص 50، وأبو بكر الطرطوشي في سراج الملوك ، ص 8.

(2) أخرجه ابن المبارك (1/ 102، رقم 304) .والبيهقي في شعب الإيمان (10581) .

(3) تفسير النسفي 3/ 253، وإحياء علوم الدين 2/ 393.

(4) أخرجه الحاكم (4/ 360، رقم 7921) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى . والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 349، رقم 10541) ، والخطيب (10/4) ، وابن عساكر (216/23) ، وابن الجوزى فى الموضوعات (407/2 رقم 982) . وأخرجه أيضًا : أبو نعيم فى الحلية (253/3) .

(5) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا 58، وانظره في الإحياء 2/ 159.

آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا [1].

وقال مطرف : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم [2].

وقال بعضهم : الدنيا جيفة وطلابها كلاب ، فمن أراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب .

وقال أبو الدرداء : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها .

وقال رجل لعلي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : صف لنا الدنيا؟ قال : وما أصف لكم من دار من صح فيها ما أمن ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، في حلالها حساب وفي حرامها عذاب .

وقال بعضهم : عجبا ممن يعرف بأن الموت حق كيف يفرح؟! وعجبا ممن يعلم أن القدر حق كيف ينصب؟!

وقال : بشر من سأل الله تعالى الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بني يديه .

وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث ؛ أنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه .

وقال الحسن : أهينوا الدنيا فوا لله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها .

حكى ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **روضة المشتاق** عن بعض السادة أنه قال : قسم المولى جلت قدرته الأحوال بين عباده ؛ فعبد نصيبه من الخلق ، وعبد نصيبه من الحق ، وعبد نصيبه من العطاء العاجل ، وعبد نصيبه من العطاء

(1) التمثيل والمحاضرة ، ص 35. وورد في البيان والتبيين 132/3 من كلام الحسن البصري .
(2) إحياء علوم الدين 2/ 396.

الآجل، وعبد نصيبه من الثياب الفاخرة، وعبد يعطى العز في الآخرة.

قال عبد الله بن المبارك ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : ليس للمؤمن في الدنيا دولة؛ لأنها دار سجنه وبلائه، وإنما حظه فيها الصبر، والكظم للغيظ، والأخذ بالفضل، وإذا جاءت الآخرة ظهرت دولته وعلت كلمته.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: المؤمن بين خمس شدائد؛ مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه.

ونقل أبو الليث عن بعض الحكماء أنه قال: المنازع أربع: عمرنا في الدنيا، ومكثنا في القبر، ومقامنا في المحشر، ومصيرنا إلى الأبد الذي خلقنا له؛ فمثل عمرنا في الدنيا كالمشي للحاج لا يطمئنون فيه ولا يحلون الدواب والأثقال لسرعة الارتحال والانتقال، ومثل مكثنا في القبور كمثل النزول في بعض المنازل يضعون الأثقال فيستريحون يوما أو ليلة ثم يرتحلون، ومثل مقامنا في المحشر كنزولهم بمكة وهي غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق يقضون النسك ثم يفترقون يمينا وشمالا، كذلك يوم القيامة إذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فريقا إلى الجنة وفريقا إلى السعير.

وقال علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروبات الماء استوى فيه البر والفاجر، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس وعليه تقتل الرجال، وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان، وأشرف المنكوحات المرأة وهو مبال في مبال[1].

(1) تفسير القرطبي 15/ 255.

حكايات ثلاث :

الأولى : روي أن عيسى ـ عليه السلام ـ صحبه رجل وقال : يا نبي الله ، أكون معك . فانطلق فانتهى إلى شاطئ نهر ، فجلس يتغدى ومعهما ثلاثة أرغفة ، فأكلا رغيفين وبقي رغيف ، فقام عيسى ـ عليه السلام ـ إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف ، فقال : أين الرغيف؟ فقال : لا أدري فانطلق ومعه الرجل فرأى ظبية معها ولدان لها فدعا واحدا فأتاه فذبحه وشوى منه وأكل منه هو وذلك الرجل ، ثم قال له : قم بإذن الله ـ عز وجل ـ فقام فقال للرجل : أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال : لا أدري . فانطلق حتى انتهى إلى مغارة فجمع عيسى ـ عليه السلام ـ ترابا ثم قال له : كن ذهبا بإذن الله ـ عز وجل ـ فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث وقال : ثلث لك ، وثلث لي ، وثلث للذي أخذ الرغيف . فقال : أنا الذي أخذته . فقال : فكلُّه لك وفارقه عيسى عليه السلام ، فجاء إليه رجلان وأرادا أن يأخذا الذهب ويقتلاه فقال : هو بيننا أثلاثا فقبل ذلك فقال : يذهب واحد إلى القرية يشتري لنا طعاما ، فذهب واحد واشترى طعاما وقال في نفسه : أجعل في هذا الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال جميعه وجعل فيه السم . وقالا فيما بينهما : لأي شيء نجعل له الثلث إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال نصفين ، فلما رجع إليهما قتلاه ، ثم أكلا من الطعام فماتا فبقى المال في المغارة والثلاثة قتلى عنده ، فمر عيسى ـ عليه السلام ـ فرآهم على تلك الحالة فقال لأصحابه : هذه الدنيا فاحذروها [1].

الحكاية الثانية : حكي عن بعض الأمراء أنه وقعت عليه ذبابة ، فألحت عليه فطردها فلم تنطرد ، فقال في نفسه : لو أن لي ملكا لم ينل مني هذا الخلق

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا 14، وابن عساكر كما في الدر المنثور 2/ 220.

الضعيف هذا المنال، ولا كابدت منه صعوبة الحال، فنزع عن نفسه ثياب الوزارة، وخلع عن منكبه رداء الإمارة ولم يره أحد بعدها راكبا جوادا ولا متوشحا بالسيوف الحداد.

الحكاية الثالثة: قال ابن خلكان: من أعجب ما يؤرخ من تقلبات الدنيا بأهلها ما حكاه محمد بن غسان عن ابن عبد الرحمن الهاشمي قال: دخلت على والدتي في يوم نحر فوجدت عندها امرأة برزة في ثياب رثة، فقالت لي والدتي أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هذه أم جعفر البرمكي، فأقبلت عليها بوجهي وأكرمتها وتحادثنا زمانا، ثم قلت: يا أمي، ما أعجب ما رأيتِ! قالت: لقد أتى علي يا بني عيد مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وإني لأعد ابني عاقا لي، ولقد أتى علي هذا العيد وما مناي إلا جلد شاتين أفترش أحدهما وألتحف بالآخر. قال فدفعت لها خمسمائة درهم فكادت تموت فرحا بها، ولم تزل تختلف إلينا حتى فرق الموت بيننا[1].

❊ ❊ ❊

(1) الوافي بالوفيات 8/ 147.

باب ذم المال

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾ [1]. قيل: التعذيب في الدنيا المصائب الواقعة في المال والولد. وقيل: تعذيبهم بالتعب في جمعه، والوجل في حفظه، والكره في إنفاقه، والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده، ثم يقدم على ملك لا يعذره [2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [3]. أي: بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الإنسان في العظائم، ومنع الحق وتناول الحرام [4].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ما أوحي إلي أن اجمع المال وكن من التاجرين، ولكن أوحى الله إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين**» [5].

وقال ﷺ: «**هلك الأكثرون إلا من قال به من عباد الله: هكذا وهكذا وقليل ما هم**». وقيل: يا رسول الله، أي أمتك أشر؟ قال: «**الأغنياء**» [6].

وقال ﷺ: «**سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها، وينكحون أجمل النساء وألوانها، ويلبسون ألين الثياب وألوانها، ويركبون فره الخيل وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع، وأنفس بالكثير لا تقنع، عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون إليها، اتخذوها آلهة دون إلههم وربا دون ربهم، إلى أمرهم**

(1) سورة التوبة، الآية: 55.

(2) تفسير البغوي 4/ 59.

(3) سورة التغابن، الآية: 15.

(4) تفسير البغوي 8/ 143.

(5) أخرجه الديلمي (4/ 95، رقم 6297).

(6) أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار 439/5 (2455)، وأحمد في المسند 535/2 (10931).

ينتهون وهواهم يتبعون، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم، ألا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم، ولا يتبع جنائزهم، ولا يوقر كبيرهم، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام». ذكر هذا الحديث أبو حامد الغزالي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **الإحياء**[1].

وقال رجل: يا رسول الله، ما لي لا أحب الموت؟ فقال: «**هل معك من مال؟**» قال: نعم يا رسول الله. قال: «**فقدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله؛ إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه**»[2].

وروي أن عليا ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: وضع درهما على كفه وقال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني[3].

وقال الحواريون لعيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ: ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة. قال: لكنهما عندي والمدر سواء[4].

وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه؛ فإنه إن لدغك قتلك سمه. فقيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه.

وقال يحيى أيضا: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته. قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ ماله كله ويُسأل عنه كله[5].

وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالا كثيرا، فقيل له: لو ادخرت لولدك من بعدك. قال: ويلك أدخره عند ربي لنفسي وأدخر ربي لولدي.

(1) إحياء علوم الدين 2/ 421.

(2) أخرجه ابن المبارك (1/ 224، رقم 634).

(3) إحياء علوم الدين 2/ 422.

(4) إحياء علوم الدين 2/ 421.

(5) صفة الصفوة 1/ 425.

باب ذم الحرص والأمل

في **صحيح مسلم** عن ابن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه**» (1).

قال رسول الله ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**» (2).

قوله «**ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب**». أي: لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره.

وقال ﷺ: «**منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم الدنيا والمال**» (3).

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر**» (4).

وقال ﷺ: «**لا يزال قلب المؤمن شابا في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل**» (5).

وقال ﷺ: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة**» (6).

وعن عبد الله بن عمر قال: مر بنا رسول الله ﷺ وأنا وأمي نطين شيئا،

(1) أخرجه أحمد (2/ 168، رقم 6572)، ومسلم (2/ 730، رقم 1054)، والترمذى (4/ 575، رقم 2348)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (2/ 1386، رقم 4138).

(2) أخرجه أحمد (5/ 117، رقم 21148)، والضياء (3/ 411، رقم 1209).

(3) أخرجه ابن عدى (6/ 295، ترجمة 1784) عن حميد عن أنس.

(4) أخرجه أحمد (3/ 115، رقم 12163)، ومسلم (2/ 724، رقم 1047)، وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (6/ 29، رقم 3268)، والبيهقى (3/ 368، رقم 6298).

(5) أخرجه البخاري (5/ 2360، رقم 6057).

(6) أخرجه البخاري (5/ 2360، رقم 6056).

فقال: «**ما هذا يا عبد الله؟**» قلت: شيء نصلحه. قال: «**الأمر أسرع من ذلك**» [1].

وقال ﷺ: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**» [2].

وقال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس**» [3].

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ألا أيها الناس أجملوا**[4] في الطلب، فإنه ليس للعبد إلا ما كتب الله له، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة» [5].

وقال ﷺ: «**إن روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**» [6].

---

(1) أخرجه أحمد (2/ 161، رقم 6502)، وأبو داود (4/ 360، رقم 5235). وأخرجه أيضًا: البخارى فى الأدب المفرد (1/ 162، رقم 456)، وابن حبان (7/ 262، رقم 2996).

(2) أخرجه الترمذي (5/ 553، رقم 3550) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (2/ 1415، رقم 4236)، والحاكم (2/ 463، رقم 3598) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقى (3/ 370، رقم 6314). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (7/ 246، رقم 2980)، وأبو يعلى (10/ 390، رقم 5990)، والطبرانى فى الأوسط (6/ 85، رقم 5872)، وأبو بكر الإسماعيلي فى معجم شيوخه (1/ 503، رقم 151)، وأبو الشيخ فى طبقات المحدثين بأصبهان (304/4)، والديلمى (1/ 412، رقم 1668). وقال الحافظ فى الفتح (240/11) بعد عزوه للترمذى: بسند حسن.

(3) أخرجه أبو يعلى (5/ 404، رقم 3079)، والطبرانى فى الأوسط (7/ 203، رقم 7274)، قال الهيثمى (237/10): رواه الطبرانى فى الأوسط، وأبو يعلى، ورجال الطبرانى رجال الصحيح. والضياء (6/ 100، رقم 2086).

(4) أجملوا: اطلبوا الرزق طلبًا جميلًا.

(5) أخرجه أحمد (5/ 183، رقم 21630)، والطبرانى (5/ 154، رقم 4925)، والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 288، رقم 10338). وأخرجه أيضًا: الدارمى (1/ 86، رقم 229) وابن حبان (2/ 454، رقم 680).

(6) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (27/10).

وكان محمد بن واسع ـ رَحِمَهُ الله ـ يبل الخبز اليابس ويأكله ويقول : من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد .

ويروى أن الله تعالى قال : يا ابن آدم ، لو كانت الدنيا لك لم يكن لك منها إلا القوت ، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن .

قال بعض الحكماء في قوله تعالى : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [1]. يعني : كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره ، فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره .

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف ـ عليه السلام ـ بعدما ملك خزائن الأرض : يا يوسف ، إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا ، وإن الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا! فقال لها يوسف : قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [2].

قال أبو الليث السمرقندي ـ رَحِمَهُ الله ـ : من قصر أمله أكرمه الله تعالى بأربع كرامات : يقوى على الطاعة ، ويقل همه إذا علم أنه يموت عن قريب ، ويجعله راضيا بالقليل ؛ فإنه إذا علم أنه يموت عن قريب يكون أكثر همه الآخرة وينور قلبه .

ويقال : نور القلب من أربعة أشياء : بطن جائع ، وصاحب صالح ، وحفظ الذنب القديم ، وقصر الأمل ، ومن طال أمله عاقبه الله بأربعة أشياء : التكاسل عن الطاعة ، وتكثر همومه ، ويصر على جمع المال ويقسو قلبه ؛ لأنه يقال قسوة

(1) سورة الذاريات ، الآيتان : 22، 23.

(2) سورة يوسف ، الآية : 90.

القلب من أربعة أشياء: بطن ممتلئ وصحبة السوء ونسيان الذنب الماضي وطول الأمل.

قال ذو النون المصري: إنما دخل الفساد على الناس من ستة أمور:

الأول: ضعف النية لعمل الآخرة.

والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

الثالث: غلب عليهم طول الأمل مع قرب الأجل.

والرابع: آثر وأرضى المخلوق على رضا الخالق.

والخامس: اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم.

والسادس: جعلوا زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا أكثر مناقبهم.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

قصة قارون

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ . وكان ابن عمه وقيل كان عمه ، ولكن نافق كما نافق السامري ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ . قال قتادة : بغى عليهم بكثرة المال ، وقيل : بالكبر ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ جمع مفتح ، وهو الذي يفتح به الباب ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ أي : لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها . قال ابن عباس : كان يحملها أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال . وقال خيثمة : وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كنز ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر ولا تأشر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر ما أنعم الله عليك وتنفقه في رضا الله تعالى ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ . قال علي ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها في الآخرة .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال لرجل : ((**اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك**» [1].

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ كل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ * قَالَ﴾

(1) أخرجه الحاكم (4/ 341، رقم 7846) وقال : صحيح على شرط الشيخين . والبيهقى فى شعب الإيمان (7/ 263، رقم 10248) .

يعني قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. أي: على فضل وخير علمه الله عندي، فرآني أهلا لذلك وفضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره.

وقيل: هو علم الكيمياء؛ قال سعيد بن المسيب: كان موسى ـ عليه السلام ـ يعلم الكيمياء، فعلّم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم، وعلّم كالبا ثلثه، وعلّم قارون ثلثه، فاحتال عليهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه، فكان ذلك سبب أمواله؛ قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ أي الكافرة ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ أي: من الأموال ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾. قال قتادة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال، وقال مجاهد: لا تسأل الملائكة عنهم؛ لأنهم يعرفون بسيماهم. وقال الحسن: لا يُسألون سؤال استعلام وإنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ قال: مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليها الأرجوان، ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاثمائة جارية بيض وعليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾. قال ابن عباس: يعني الأحبار من بني إسرائيل. وقال مقاتل: أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي الأعمال الصالحة ﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ على طاعة الله وعن زينة الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾. وذلك أن قارون طغى وعتى وتكبر وآذى موسى بأنواع من الأذى، وكان موسى يداريه للقرابة التي

بينهما ولا يزيده ذلك إلا عتوا وتجبرا .

قال ابن عباس : فلما نزلت الزكاة على موسى صالح قارون على كل ألف دينار دينار ، وعلى كل ألف درهم درهم ، وعلى كل ألف شاة شاة ، وعلى كل ألف شيء شيء ، فحسب ذلك قارون فوجدوه كثيرا ، فلم تسمح به نفسه ، فجمع بني إسرائيل وقال لهم : إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعمتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم . فقالوا : أنت كبيرنا فمرنا بما شئت . فقال : ادعوا فلانة البغية فنجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها ، فإذا فعلت ذلك رفضته بنو إسرائيل ، فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل ، ثم أتى موسى فقال : إن بني إسرائيل ينتظرونك فتأمرهم وتنهاهم ، فخرج إليهم موسى فقام فيهم فقال : يا بني إسرائيل ، من سرق قطعناه ، ومن افترى جلدناه ثمانين ، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت . قال له قارون : وإن كنت أنت؟ قال : وإن كنت أنا . قال : فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة . قال : ادعوها فإن قالت فهو كما قالت . فلما جاءت قال لها موسى : يا فلانة ، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها ، فسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل ، وأنزل التوراة إلا صدقت ، فتداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذي موسى رسول الله ﷺ . فقالت : لا كذبوا ، ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي . فخر موسى ساجدا يبكي ويقول : اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي ، فأوحى الله إليه أني أمرت الأرض أن تطيعك ، فمرها بما شئت . فقال موسى : إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون ، فمن كان معه فليثبت مكانه ، ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان ، ثم قال موسى : يا أرض خذيهم . فأخذت الأرض بأقدامهم ، ثم قال : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ، ثم قال : خذيهم

فأخذتهم إلى الأوساط، ثم قال: خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق، وقارون وأصحابه يتضرعون في ذلك إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم، حتى روي أنه ناشده سبعين مرة وموسى لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم. فانطبقت عليهم الأرض فأوحى الله ـ عز وجل ـ إلى موسى: ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، أما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لأغثته. وفي بعض الآثار: لا أجعل الأرض بعدك طوعا لأحد[1].

قال قتادة: خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. قال: وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله تعالى موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله فذلك قوله تعالى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يمنعونه من الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ قال مجاهد ألم تعلم أن الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ . أي: يوسع ويضيق ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ومعنى الآية أنهم ندموا على ذلك التمني قال الله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال عطاء استطالة على الناس وتهاونا بهم ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ قال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] أي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه[3].

(1) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (402/3) وفي البداية والنهاية (309/1 ـ 311) هلاك قارون بسبب دعوة موسى واختلاف العلماء في سبب ذلك، ثم قال: وقد ذكر هنا كثير من المفسرين إسرائيليات كثيرة غريبة ضربنا عنها صفحًا وتركناها قصدا. وفي هذا إشارة إلى مصدر الروايات التي ساقها البغوي رحمه الله.

(2) سورة القصص، الآيات: 76 ـ 83.

(3) تفسير البغوي 1/ 223.